ظاهرة الاحياء الديني في المجتمع العراقي
تأملات في مراسم إحياء نهضة الامام الحسين (ع)

أ.م.د. نبيل عمران موسى الخالدي
كلية الآداب/جامعة القادسية

مقدمة

إن ظواهر الاحياء الحسيني في أشكالها المشروعة ليست وليدة اليوم، ولا هي من نسخ الممارسات المستحدثة، بل تمتد في تاريخ الإسلام، إلى القرن الهجري الأول، وتخضع في شكلها الاجتماعي وتعابيرها الأدائية الفنية، إلى إطار تشريعي يؤسس لمشروعيتها، ويحث على ممارستها في أوساط المسلمين. إذ أن قضية أبن بنت رسول الله (صلى الله عليه واله) هي قضية إسلامية عامة، يسع نورها الجميع ، وفي عصرنا الراهن فأن ظواهر الإحياء للشعائر الحسينية حيث توافر زخم عظيم ترافق مع حالة الإحياء الإسلامي، وينظر اليها اجتماعياً من خلال عدد وفير من مستويات البحث الاجتماعي أولها ما يدخل في مفهوم التنظيم الاجتماعي الداخلي، إذ لا ريب أن هذه الشعائر أمدت الشيعة بإمكانات كبيرة على تنظيم صفهم الداخلي وتوفير عناصر التماسك في الجماعة، ثم هناك المعطيات الاجتماعية لممارسة الشعائر على مستوى البناء الاجتماعي، وعلى مستوى ما توفره من إمكانات لقضية التغيير الاجتماعي، مضافاً إلى المعطيات الخصبة التي تساهم بها (العلاقات الشعائرية) التي تنظم الجماعة التي تمارس مراسم الإحياء الحسيني، أو تلك الفئات الاجتماعية التي معها.

وفي هذا الاطار تعتبر حركة الاحياء الديني محاولة لتجاوز أوضاع أزمة راهنة للمجتمع، بيد أن حركات الاحياء الديني في التاريخ الاسلامي ليست واحدة. ذلك يعني أن عملية الاحياء الديني تتصاعد في مواجهة مراحل الازمة التي يمر بها المجتمع على أي مستوى من مستوياته. وكان لمقتل الحسين (سنة ٦١هـ) في أرض كربلاء أثر بعيد في إذكاء التشيع في نفوس الشيعة وتوحيد صفوفهم، وتغلغل في أعماق قلوبهم وأصبح عقيدة راسخة في نفوسهم. وتحول التشيع إلى قاعدة عريضة متماسكة في حيزها الاجتماعي والسلوكي، وفي بعدها السياسي. ثم آل الأمر بعد ذلك أن يتحول التشيع إلى تيار عريض بفضل يوم الحسين.

وعلى هذا الأساس جاء يوم الحسين(ع)، والرصيد الذي تنطوي عليه مراسم الاحياء، ليوفرا (الطاقة الحيوية) التي تغني المجتمع الشيعي وتمده بعناصر الصمود وتغذيه بأسباب المقاومة والبقاء في دائرة ممارسة المعارضة، انطلاقاً من كونه كتلة عضوية متماسكة، وليس مجرد فلول وأفراد منهزمين نفسياً. فقد كان الشيعة أقلية اجتماعية وسياسية في الوسط الإسلامي، وكان لمقتل الحسين (سنة ٦١هـ)

في أرض كربلاء أثر بعيد في إذكاء التشيع في نفوس الشيعة وتوحيد صفوفهم ، وتغلغل في أعماق قلوبهم وأصبح عقيدة راسخة في نفوسهم. وتحول التشيع إلى قاعدة عريضة متماسكة في حيزها الاجتماعي والسلوكي ، وفي بعدها السياسي. ثم آل الأمر بعد ذلك أن يتحول التشيع إلى تيار عريض بفضل يوم الحسين.

ولا ريب أن أحد أبرز العوامل المؤثرة في ذلك هو التخطيط الواعي المستبصر لمراسم الاحياء في أشكالها المختلفة من بكاء ونياحة وشعر ومأتم وزيارة فكل هذه الشعائر التعبيرية كانت نماذج حماسة، ترتبط بأهداف سياسية واجتماعية كبيرة . ومن الواضح أن هذا التحول لم يترتب عفوياً على يوم الحسين (ع) وانما كان لتوجيه الأئمة من بعده، وكان تخطيطهم لمراسم الاحياء دوره في إبراز هذه المعطيات.

إن الدراسة الراهنة لم تقتصر على عرض مراسم الإحياء وتناول فلسفتها في العصور الراهنة، وانما راحت تتوغل زمنياً لتكتشف من خلال دراستها للخلفية التاريخية، لبعض صور التعاطي العاطفي الشعبي مع نهضة الحسين(ع) والمعطيات الاجتماعية والسياسية والثقافية للشعائر الحسينية، في الأشواط المختلفة التي مر بها المسلمون عامة.

الفصل الاول: الاطار العام للدراسة

أولاً: موضوع الدراسة

أن التاريخ لا يزال يحفظ وثائق كثيرة تكشف عن طبيعة الإرهاب السياسي والمطاردة الأمنية التي كانت تهدف إلى استئصال منهجي لمذهب أهل البيت وأتباعه، أن هذا القمع المنهجي المنظم، كان يصدر من سياسة رسمية عليا تهدف إلى استئصال آل البيت وشيعتهم والقضاء عليهم قضاء مبرماً. ووجدنا تيارات مخالفة تتعاضد للتشكيك بهذه الشعائر المقدسة، رافعة عقيدتها بإثارة الأسئلة وإطلاق الشبهات، تارة باسم الشرعية الدينية كما تفعل الوهابية ومن يناصرها ، وتارة باسم العقلانية والاستنارة كما تفعل بعض فئات المثقفين المسلمين ، وتارة باسم الحداثة والفهم الاجتماعي المتجدد لفلسفة الدين ، المستمد مباشرة من المناهج الغربية، كما يفعل الغربيون المهتمون بدراسة وقائع المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ومتابعة التحولات التي تمر بها، وكذلك من انساق ورائهم من المتغربين من أبناء المسلمين، خصوصاً في الاتجاهات الخطيرة التي برزت وتبلورت خلال العقدين الماضيين. في مثل هذا الوضع انبثقت مراسم الحسين، لتكون الإطار الذي يلم الجمع، ويحافظ على الجماعة، ويشدها في أطار تنظيمي عضوي فعال، لا يوفر عناصر الصمود للشيعة وحسب، وانما يدفع بهم لممارسة مسؤوليتهم الشرعية في الحفاظ على الخط الصحيح، والبقاء في دائرة المعارضة للسلطات الظالمة. واذا أردنا أن ننظر إلى ممارسة السلطات يومذاك، من منظور لغة التحليل الاجتماعي المعاصر، فنجد انها كانت تهدف نفسياً وسلوكياً إلى أن يعيش الشيعي حالة انفصال بين إيمانه بأهل

البيت وانجذابه المعنوي اليهم (صلوات الله عليهم) وبين واقع اجتماعي مجاف لهم، وكانت تسعى إلى أن تعمق حالة الانفصال هذه من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة نفسها، بحيث يفتقد الشيعي الحماية النفسية والرصيد السلوكي الذي يمده بالصمود، داخل مجتمعه الخاص، كما كان قد افتقدهما في إطار المجتمع العام، بدواعي الخوف من بطش السلطة، أو الجهل بموقع العترة الطاهرة.

ثانياً: تساؤلات الدراسة : تثير الدراسة الحالية مجموعة من التساؤلات وهي:

١-هل ظهرت مراسم الإحياء الحسيني الآن لحاجات سياسية طارئة ؟

٢-هل دأب المسلمين على ديمومة التمسك بها والاستمرار عليها منذ قرون عديدة ؟

٣-هل كان لتغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية تأثيره في ممارسة هذه المراسم؟

٤-هل أنبثق المنبر الحسيني ليشكل اداة توصيلية هائلة التأثير في ممارسة الدعوة والتبليغ، وسائر المهام السياسية والاجتماعية ؟

ثالثاً: أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

١-التعرف على الأشكال المختلفة لمراسم الاحياء الحسيني التي تشكل الخلفية العقيدية والتشريعية للعزاء الحسيني.

٢-التعرف على الأبعاد السياسية والاجتماعية لمراسم الإحياء الحسيني.

٣-التعرف على مراسم الاحياء العامة .

رابعاً: أهمية الدراسة : تنطلق أهمية هذه الدراسة إلى ضرورة التوفر على وعي عميق للعزاء الحسيني ، فيما أداه من دور تاريخي ، وفيما يملك من إمكانات واسعة في الحاضر. ولما لأشكاله المختلفة من دور في الماضي والحاضر والمستقبل. من المهم أن نؤكد هنا أنَّ " التعاطي الشعبي" هو من الأهميَّة؛ إذ يجعلنا أمام ضرورة التفكير في القضيَّة الحسينيَّة، وبحثها فكريًّا ومضمونيًّا؛ بغية استلهام تجلياتها وأهدافها الإصلاحيَّة، وجعلها أمام الشعوب والأمم لتقتدي بها في إصلاح شؤونها، والتطلع نحو التغيير، وردع الظلم، بمعنى أنَّ هذا المستوى مدعاة للنظر فيه، وفي القضيَّة المرتبط بها من جهة. ويجعل الآخر الإنساني أمام ضرورة النظر في هذه القضيَّة، ولمكان التأثر بمضامينها من جهة ثانية، ومن الجميل والجليل في هذا المقام أنَّ الاتجاهين قد حدثا، ومن الأمور المتعلقة بهذا أنَّ هذا "المستوى الشعبي العاطفي" ينبغي أن يلهب حماسة المتصدين للشأن الفكري؛ فيخلق في نفوسهم ردة فعل إيجابيَّة تُترجم عملاً فكريًّا وبحثًا أكاديميًّا يتوخَّى التجليات الفكريَّة لهذه النهضة. فنكون أمام حالة من التنافس

قبال هذا المد الشعبي العاطفي بما يشبه مدًا فكريًا تحليليًا.

خامساً: مفاهيم الدراسة

١- **مفهوم العزاء:** ظاهرة دينية شعائرية لها خصوصية وفرادة في العالمين العربي والاسلامي. اشتقت الكلمة من الفعل عزى، أي واسى وشاطر الآخر أحزانه. فهي إذاً عزاء ومواساة عند حدوث وفاة بصورة عامة. غير أن التعزية اتخذت بمرور الزمن معنى وخصوصية، وهي إظهار الحزن والاسى في شهري محرم وصفر من كل عام، وبخاصة في اليوم العاشر من شهر محرم المعروف بيوم عاشوراء، وهو يوم استشهاد الامام الحسين في كربلاء[*] (١،٩٦).

٢- **مفهوم العلاقات الشعائرية:** ويعني الجماعات التي تنتظم في علاقات خاصة تفرضها الشعائر الإسلامية، مثل جماعة الصلاة ، جماعة الحج ، ونراه مفيداً في تحليل المعطيات التي تتوفر عليها الجماعة التي تمارس الشعائر الحسينية، سواء في طبيعة علاقاتها فيما بينها وما يترتب عليها من آثار.

٢- **الدين:** هو السبيل والطريق الذي يؤدي إلى سعادة الناس في دنياهم وآخريتهم، وهو يشتمل على أمور ثلاثة: العقيدة، والقول، والعمل.

٣- **العقيدة:** تعني الاقتناع وقبول اصول الدين الخمسة بالفعل والبرهان وهي عبارة عن التوحيد، والعدل، والنبوة، والامامة، والمعاد.

ويطلق مفهوم العقيدة Faith على التصديق الناشئ عن إدراك شعوري أو لا شعوري يقهر صاحبه على الاذعان لقضية ما(٣ ، ١٩).

٤- **الشعائر:** تعرف الشعيرة بأنها سلسلة متكررة من الأنشطة التي تتضمن الحركات والكلمات، التي الهدف منها التأثير في الموجودات أو القوى الخارقة للطبيعة.وهي ترتبط بتغيرات شخصية أو جماعية، مثل الاحتفالات الخاصة بدورة الحياة أو بتغيرات الحياة(٧، ١٧٧).

أن الشعائر والطقوس تعبر في كثير من جوانبها عن البناء الرمزي الذي يسود تلك الأنماط الثقافية المحلية لمجتمع معين، والتي تهدف عموما إلى جلب البهجة والسعادة والمرح في جو هذا الاحتفال ، نظرا لما تؤديه هذه المناسبة من فوائد كبيرة للفرد والمجتمع(١٧، ٢١٥).

الفصل الثاني: سوسيولوجيا مراسم الاحياء الحسيني

أولاً: الأبعاد الاجتماعية والثقافية والتربوية للاحياء الديني :

يعد الدين أهم عنصر في حياة الإنسان لما له من صفة الشمول لجميع نواحي حياة الإنسان

[*] يشير الرقم الأول إلى رقم المرجع في قائمة المراجع، والرقم الثاني هو رقم الصفحة أو الصفحات بذات المرجع.

خصوصا الجوانب الاجتماعية والثقافية. والدين كظاهرة اجتماعية يدخل في علاقة تفاعلية مع الوحدات الإجتماعية الأخرى المكونة للمجتمع، هذه الحقيقة تمثل حجر الزاوية في علم الإجتماع الديني . واذا كان هذا هومنطلق علم الإجتماع الديني ، فان الأمر ليس كذلك في رأي كثير من الناس، فالبعض قد ينظر الى الدين على أنه السياق الذي يتحد فيه الإنسان على ماهو فوق إنساني(١٠، ٤٢ ، ٤٢)، ويمكننا من خلال هذا العنصر إبراز أهمية هذه الأبعاد بالنسبة للفرد والمجتمع .

١- الأبعاد الاجتماعية :

يعد الدين جزءا لا يتجزأ من الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال فصله عن الحياة الاجتماعية وممارسات الأفراد، فالظواهر الاجتماعية داخل جماعة معينة أو داخل المجتمع تتميز بصفة التداخل، حيث أنها تتفاعل بصفة مستمرة مع بعضها البعض، كما يتفاعل الدين بطريقة ديناميكية مع كل الظواهر والعمليات الاجتماعية، فالدين يؤثر ويتأثر بها، و يعتبر متغيرا مستقلا، وتابعا في نفس الوقت، كما أن الظواهر الاجتماعية هي أحد الاهتمامات الرئيسية في الاجتماع الديني(٦، ٨٢).

وبما أنه يتغلغل في كل مظاهر الحياة، فهو نمط ترابط للعلاقات الاجتماعية حسب قول دوركايم، حيث من الملاحظ أن دور الجماعات الدينية مهم ومؤثر على تسيير أمور كثيرة في الحياة الممارسات الدينية لتلك الجماعات منضوية في إطار أوسع ، لكون كل شخص بها مسئول عن جزء من الممارسات المعتقدية ،كما أن ممارسة الشعائر هي نشاط اجتماعي أساسي، فالالتزام بالمشاركة في الممارسات الشعائرية و صيانة المعرفة الباطنية ينعكس كذلك على المجال السياسي(٤، ٢٤٦).

كما أن للدين دور في تدعيم القيم الإيجابية لدى الأفراد، والبعد عن العادات السلبية بما أنه يدعو إلى الأمانة، الصدق، العمل، حب الناس والمساواة إلى غير ذلك، وينهى عن الفواحش والمنكرات فالدور الأكبر في ذلك هو دور الممارسات ،خصوصا العبادة مما يساعد على حفظ توازن المجتمع وضمان صيرورة الحياة بصفة أفضل (١٨، ١٥١).

كما أن للدين تأثير في الحياة عموما، وأثره متعدد ومتنوع حسب طبيعة هذا الدين وتصوره العقائدي والاجتماعي وحسب اهتمامه بالبعد الاجتماعي تكون أحكامه وتشريعه وتوجيهه بالنسبة لهذه الجوانب، فأي ظاهرة دينية، لها الكثير من الوظائف والأبعاد الاجتماعية، فلا يكاد أي دين يخلو من الأبعاد الاجتماعية المؤثرة في المجتمع عموما، وفي أنشطة الفرد سواء الفردية أو الجماعية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. فيظهر البعد الاجتماعي في الأديان خصوصا وبوضوح من خلال المظاهر الطقوسية أو الشعائر التعبدية الممارسة في الحياة اليومية، مثل : الصلاة الزكاة والحج ..وغيرها من الأفعال الدينية الفردية والجماعية والاحتفالات الدينية(١٣، ٤٢).

٢- الأبعاد الثقافية :

يمثل الدين ثقافة كاملة لشعب أو أمة أو حضارة، ليس لكونه عبارة عن تشريعات ونصوص وتعاليم وقيم فحسب، بل هو يعبر عن ثقافة اجتماعية مجسدة من خلال نظام من الممارسات الفردية والجماعية مبلورة في العادات والتقاليد ، فضلاً عن كونه نظاما من التصورات بغض النظر عن طريقة استيعابه وطرق التعبير عنه من طرف المؤمنين به، كما أنه ثقافة كاملة تعبر عن رؤية واسعة للعلم، للطبيعة والوجود والإنسان، لأنه يعطينا تصورا عاما لبناء الاجتماع الإنساني بصفة تشمل أدق تفاصيل هذا الاجتماع اقتصاديا، سياسيا وأخلاقيا ...الخ ، فليس المهم إن سعت العقيدة الدينية إلى بناء أمة "روحية" مثل المسيحية، أو إلى بناء أمة "اجتماعية روحية "مثل الإسلام، بل الأهم أنها تعد بمثابة المرجعية للمنتسبين له، تحدد قواعد صارمة للفكر والسلوك، وأفكاره بمثابة عقائد راسخة لا تقبل المراجعة في جانبها اللاهوتي، حتى وان كانت تقبل بعض التغير في الجوانب المتصلة بميدان الاجتماع المدني .

فالدين ينطلق من قبول نماذج روحانية محددة، تترجم بعدها إلى فرض نماذج أخلاقية وقيم محددة، لتصبح بذلك شبكة متكاملة من النماذج الفكرية و السلوكية التي تؤطر حياة المؤمنين به فالدين هنا يمثل ثقافة لنمط من المعرفة بالوجود الطبيعي والاجتماعي، وهو بذلك يختلف عن العلم والفلسفة والأسطورة، إذ يفرض على مؤمنيه سلسلة من الاعتقادات ذات الطابع الروحاني، توجههم على جميع الأصعدة اجتماعيا وإنسانيا. إذ يعد ثقافة بوصفه نمطا مغلقا من القيم ،العادات ،الطقوس والشعائر، ذلك أنه منهج ثابت الملامح لممارسة الحياة وبناء الاجتماع وإعادة إنتاجه . وبقدر ما يقوم الدين بتشكيل الثقافة وتعبئتها، يقوم أيضا بشحنها بالرموز والمضامين والقيم بل يسهم في تشكيل حقلها الخاص داخل الاجتماع المدني، الذي ليس بالضرورة أن يكون دينا خالصا بل هو في الواقع يتكون بالتفاعل مع الحقل الاجتماعي، بما يحمله من ضغوط وتحديات واستجابات تفضي إلى تعبئة "المخيال الجماعي " برموز وعادات و قيم وتقاليد، من شأنه استثمارها في الحقل الثقافي لإعادة التوازن للذات، وتقويم سلوكها نحو الأفضل، وبذلك يعد الدين طاقة تعبوية هائلة لشحن الحقل الثقافي، حيث هناك حالتين للدين، يمثل في الأولى نسقا كاملا يمد المؤمنين بأنماط متكاملة في ما يتعلق بالقيم وإدراك الوجود، أما في الثانية فهو يعد عنصرا فاعلا وقدرة دينامكية داخل نسق أشمل، يتمثل في الاجتماع المدني بجميع أبعاده السياسية، الوطنية، القومية والإنسانية، ونحتاج لفهمه في الحالة الأولى إلى تحليل معرفي ديني، أما في الحالة الثانية فنحتاج لفهم الواقع وتحليله تحليلا سوسيو- ثقافي، لفهم ميكانيزمات الثقافة الدينية في البنية الاجتماعية، واستثمارها للحقل الديني في عملية بناء الثقافة وديناميكيتها والأفعال الناتجة عنها(١٤، ٥٣-٥٤).

والدين الإسلامي له حكمته و فلسفته الخاصة في العلاقة بين الثقافة والدين، ففي الإسلام الدين صانع الثقافة، وهناك اتحاد للعلاقة بين الثقافة والدين مع أول كلمة نزلت في القرآن الكريم وهي آية

"اقرأ " فالدين الذي يبدأ بهذه الكلمة قادر على أن يصنع ثقافة، ويكون أمة ويبني حضارة ، ذلك أن الدين الإسلامي يربط الثقافة بمرجعية الوحي من جهة، ويجعلها مرتبطة بالعقيدة من جهة، فالوحي هو مصدر الحقائق والمعارف واليقينية المتصلة بعالم الغيب، نظرا لقصور العقل أحيانا في الوصول إليها بموثوقية ويقين وهو منبع العقيدة التي تجعل الثقافة ترتبط بأصول ثابتة وبشعائر وممارسات تعبدية . تزكي النفس، وتهذب الثقافة وتسمو بحكمتها وفلسفتها، إذ تحافظ على فاعليتها وتماسكها(٩، ١١٨).

وبذلك يتضح دور الدين البالغ الأهمية في الحياة الاجتماعية على المستوى الفردي والجماعي، والميزة الخاصة التي يطبع بها كل المنتسبين له .

٣- الابعاد التربوية:

وتعد الشعائر الدينية انعكاسات لثقافة المجتمع وترابطه وتماسكه الاجتماعي، حيث تقوي ثقافة الأفراد وتمركزهم حول تقاليدهم وعاداتهم وتراثهم الثقافي، ومن أهم الشعائر و المناسبات الدينية التي تحتفل بها المجتمعات الإسلامية التي من بينها مجتمعنا العراقي خاصة، اربعينية الامام الحسين (ع)، ويعد الاحتفال الديني ظاهرة اجتماعية ثقافية تربوية لها ارتباطها القوي بالبناء الاجتماعي المحيط بها سواء على مستوى الحي أو القرية أو المجتمع الكبير، كما أنه يحتوي على جوانب بالأخص دينية ترويحية وثقافية، وخصوصا الجوانب التربوية لما فيها من قيم خاصة بالدين والتربية عموما، تساهم في الحفاظ على قيم المجتمع من خلال التمسك بهذه القيم وبالتقاليد المشتركة وتقوية تفاعلاتهم من خلال المشاركة في الشعائر والطقوس ذات الدلالات الدينية والتربوية الموحدة وبما أن الإنسان اجتماعي و مدني بطبعه فحاجته ماسة إلى الاتصال والتواصل مع الآخرين كحاجته للطعام والشراب من هنا تأتي الأعياد كمناسبات اجتماعية تعكس وتحقق هذه الرغبة الفطرية في الإنسان، لذلك وجدنا الدين (الإسلام) يلبي هذه الرغبة الطبيعية للإنسان في التواصل مع الآخرين ويتجاوب مع هذه الفطرة، التي تحقق للمجتمع استقراره وتماسكه، فالإسلام دين الفطرة، وهو يعلي من شأن اجتماع المسلمين وتواصلهم في الصلاة والحج ...الخ كما يعمل على توطيد العلاقات الاجتماعية وزيادة التقارب والتواصل بينهم .

لذلك تعتبر الأسرة المؤسسة الأولى في التنشئة الاجتماعية والخلية الأساسية في المجتمع التي يعاد بواسطتها الإنتاج البيولوجي والاجتماعي للمجتمع، فبعد انتقالها من دورها الرئيسي الذي كان يتمثل في تشريب التراث الاقتصادي والأخلاقي، أصبح يرتكز حاليا على بناء الهوية للأفراد وقيام الرباط الاجتماعي وتدعيم التواصل مابين أفراد الأسرة، ومابين الأجيال باعتبار الأسرة مركز العلاقات الاجتماعية ولذا تمثل الأسرة إحدى الحلقات الهامة والأساسية لتلك التي يتم بواسطتها نقل الممتلكات . والقيم الدينية الثقافية والتربوية، التي يتميز بها هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات.

وتعد الاسرة الفاعل الأساسي في نقل وترسيخ هذا التراث جيلا بعد جيل وذلك من خلال قيامها بوظيفة التنشئة الاجتماعية للأبناء. و تربيتهم على المحافظة على هذه القيم الدينية والثقافية عبر التمسك بالعادات والتقاليد الخاصة بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف مثلا، وتفعيل التواصل الأسري في الأسرة ذاتها والمجتمع عامة، وذلك بتعويد الأبناء على زيارة الأقرباء والجيران للتعرف عليهم عن قرب هذه المناسبة من خلال تبادل الأحاديث وتقوية الروابط الرحمية والاجتماعية وتعويد الأطفال وتربيتهم على أصول مخالطة الناس وآداب المجالس والحديث وإتاحة الفرصة لهم لاكتساب المزيد من المهارات المعرفية والسلوكية والاجتماعية.

ثانياً: عوامل الاحياء الاسلامي من داخل الدين والعقيدة

أن الدين الاسلامي يحتوي على عديد من المبادئ والافكار والقيم والتعاليم التي تؤكدها وثائق الدين الاسلامي الاساسية، والتي تحاول تحديد بناء الجهاز السياسي للمجتمع وطبيعة المؤسسات، وأسلوب فاعلية هذه المؤسسات بما يرضى الله اتباعاً لتعاليم الدين الحنيف. فلم يكن الله ليترك أخطر جانب حياة البشر دونما تنظيم ومن ثم فلدى النظرة الاسلامية رؤية محددة وتحديداً واضحاً للبناء السياسي للمجتمع أو الدولة(١٥، ٧٩). وفي النظر إلى حالة الاحياء باعتبارها نتاجاً لمجموعة من العوامل والظروف، تلك التي تتطلق بالنظر إلى مستويات ومصادر عديدة، بعضها من داخل المجتمع ومرتبط ببنائه، بيما يرتبط البعض الآخر بالبيئات العالمية والاقليمية المحيطة بالمجتمع. بيد اننا إذا تأملنا العوامل الفاعلة في عملية الاحياء فسوف نجدها داخلية بالاساس، وهو ما يعني اعتبار عملية الاحياء الاسلامي باعتبارها استجابة لمجموعة التأثيرات والضغوط التي طرأت على المجتمع. فإذا كانت المجتمعات الاسلامية في مرحلة سابقة قد خضعت لفاعلية وتأثير عوامل عديدة أدت إلى انهيارها في هذه المرحلة، فإن هذه المجتمعات تكون قد تفاعلت بأسلوب سلبي مع هذه المؤثرات، ومن ثم تكيفت معها على حساب انهيار بعض ملامحها أو بعض من خصائصها(١١، ٣٧٧).

في نطاق ذلك يمكن اعتبار عملية الاحياء الديني عملية تفاعل ايجابي من قبل المجتمع مع العوامل او المتغيرات التي طرأت عليه. فهو يبرز ما لديه من نظائر أكثر قوة، ويستوعب الجديد الذي قد يدعم بناؤه وتطوره. وينبغي الاشارة في هذا الاطار إلى قدرة المجتمع على استيعاب المتغيرات التي قد تسعى للقضاء على بعض جوانبه أو ملامحه، بنفس قدرته على على استيعاب المتغيرات الجديدة التي قد تطور القدرة التكيفية في بنائه، في الحالة الاولى يؤدي الاستيعاب إلى انهيار المجتمع وضياع الهوية، بينما يؤدي الاستيعاب في الحالة الثانية إلى حالة من الحيوية البنائية المستندة إلى كفاءة التراث.

وتحتل العقيدة مكانة كبرى لدى كل انسان ولدى كل المجتمعات، وتعد العقيدة الموجه الاساسي لسلوك الفرد، حيث تتحول إلى موجهات قيمية

Value Orientations تترجم إلى واقع سلوكي. فالمعتقدات هي التي تحكم وتصبغ وتحدد القيم ، وهذه الأخيرة هي التي تحدد مسارات السلوك وتضبه وتوجهه.

والعقيدة في نظر الاسلام هي الجانب النظري الذي يطلب إلى المسلم الايمان به أولاً وقبل كل شئ ايماناً لا يرقى اليه شك، ولاتؤثر فيه شبهة. ومن طبيعتها تضافر النصوص الواضحة على تقريرها، واجماع المسلمين عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة، مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيما وراءها، ولذا كانت العقيدة تسهم في صياغة الشخصية المتماسكة، فإنها تسهم كذلك في تحقيق تماسك الجماعة Group Cohesion وتحقيق الكامل الاجتماعي Social Integration على مستوى المجتمع كله، لما تحققه من الشعور بالترابط والتقارب والالفة والقوة بين ابناء العقيدة الواحدة، نتيجة لوحدة المنطلق ووحدة الهدف.

واذا كانت العقيدة هي الجانب النظري الذي يطلب الايمان به ايماناً يقينياً، فإن الشريعة هي الظم التي شرعها الله سبحنه او شرع اصولها ليأخذ الانسان بها نفسه من علاقته بربه، وسبيلها اداء الواجبات الدينية كالصلاة والزكاة والصوم، وعلاقته بأخيه المسلم وسبيلها تبادل المحبة والتناصر والاحكام الخاصة بتكوين الاسرة والميراث، وعلاقته بأخيه الانسان وسبيلها حرية البحث والنظر في الكائنات التي سخرها الله سبحانه للانسان واستخدام اثارها في رقيه، وعلاقته بالحياة وسبيلها التمتع بلذائذ الحياة الحلال اي ما احله دون الاسراف او تقشف شديد.

ولهذا فإن الاسلام لا ينطوي على عقيدة فقط، تنظم علاقة الانسان بربه فحسب، وانما ينطوي كذلك على شريعة توجه الانسان الى نواحي الخير في الحياة، وتقيم مجتمعاً يحقق القوة والتعاون والتكامل والتكافل. فالاسلام دين عقيدة وشريعة يستغرق ويوجه حياة الانسان الذاتية والاجتماعية من المهد إلى اللحد.

ثالثاً: أهداف نهضة الامام الحسين (عليه السلام)

يمكن أن نوجز أهداف هضة الامام الحسين (عليه السلام) في أمور(٣، ١٢-١٣):

١- استهدف الامام الحسين (عليه السلام) من نهضته الاصلاحية المباركة احياء الدين الاسلامي. فجاءت نهضة الامام الحسين(عليه السلام) لتفتح طريق الفكر والعمل على الاطاحة بكل الظالمين، حيث تعلمت البشرية من الامام الحسين عبر نهضته المباركة كيف تثور ضد الظلم والظالمين وتكشف زيفهم وتجتث اصولهم في كل عصر وزمان.

٢- بسبب هذه النهضة المباركة انتشرت العقائد الصحيحة ومعارف الدين الاسلامي لدى مئات الملايين من المسلمين الشيعة وذلك من خلال الكتب والمنابر الحسينية واشرطة الكاسيت وغير ذلك بلغات مختلفة وفي كل العالم. وترك ذلك الاثر

الكبير في تعديل السلوك الانساني لدى كل المسلمين، بل العالم كله، وساهم في خلاص البشرية من ظلم الاستبداد والطغيان.

٣- تصحيح سلوك الناس وتقويمه، بعد أن تلون سلوك الاس وأخلاقهم بطابع العنف والاستبداد والوحشية والاستهتار مما لايتناسب مع الخلق الاسلامي والانساني، فأعاد الامام (عليه السلام) نهضته الشريفة مكارم الاخلاق التي بناها جده الكريم (ص) وقدمها إلى البشرية ودعا الناس إلى التخلق بها في كل مراحل الحياة.

واننا إذ نلاحظ اليوم المشاكل والمآسي تحيط بالمسلمين في البلاد الاسلامية من كل جانب فما ذلك الا لابتعاد المسلمين انفسهم عن التعاليم الاسلامية وعدم تطبيق احكام الاسلام وقوانينه العادلة.

الفصل الثالث: الأهمية الدينية والاجتماعية والسياسية لمراسم الاحياء الحسيني

أولاً: رؤية سوسيولوجية عن نهضة الامام الحسين

برزت ظاهرة الإحياء على خريطة العالم الاسلامي وأثارت تفاعلاتها اهتمام الباحثين، الذين حاولوا تأملها بالبحث والدراسة. البعض أكد أنها حركة رجعية تود أن تهرب بالمجتمع من عذابات الحاضر إلى أمجاد الماضي، ومن ثم فهي حركة معوقة لتقدم المجتمع. بينما نظر إليها البعض الآخر باعتبار كونها حركة ثورية تسعى إلى اعادة تنظيم المجتمع وانتشاله من قلب الفوضى التي أتت عليه، فهي لا تريد العودة إلى الماضي، بل تجاهد من أجل الاستفادة من مبادئ الإسلام في دفع المجتمع على طريق التقدم والتحديث، ومبادئ الاسلام لا ترفض ذلك، ومن ثم فهي حركة ثورية بالطبيعة والخصائص.

ولتحديد طبيعة الإحياء الإسلامي واتجاهه كان منطقياً أن تبذل محاولات عديدة لتأمل أسباب وعوامل هذه الحركة، ثم طبيعة الإحياء الناتج عنها . هذا إلى جانب بذل محاولات علمية عديدة للتعرف على خصائص حركة الاحياء الإسلامي، وماهي الملامح التي تميزها عن ما عداها من حركات ثورية أو هادفة للتغيير.

بداية إذا تأملنا خصائص الاحياء الإسلامي، فإننا سوف نجد أن بعض هذه الخصائص ترتبط بحركة الاحياء ذاتها، باعتبارها حركة تحول اعادة صياغة الواقع عن طريق بث الحيوية فيه من خلال أحد عناصرها، بينما تتصل بعض الخصائص الأخرى بطبيعة القائمين بعملية الاحياء ذاتها، سواء كانوا قادة أم أتباعاً، في حين تتصل المجموعة الثالثة من الخصائص بطبيعة السياق الاجتماعي الذي يظهر الاحياء في اطاره، وسوف نعرض لكل من هذه الخصائص:

أ- تعتبر سرعة الانتشار من الخصائص الاساسية لحركة الاحياء الإسلامي المعاصرة، ونعني بسرعة

الانتشار القدرة على تخطي الحدود، والانتقال م مجتمع اسلامي إلى مجتمع آخر في فترة زمنية محدودة، بغض النظر عن تباين البيئات السياسية والثقافية والاقتصادية. وفي هذا الاطار فإننا نجد أن حركة الاحياء الاسلامي المعاصر لم تظهر فقط في المجتمعات الاسلامية او العربية، ومن ثم اقتصرت عليها. هذا إلى جانب أننا نعني بالانتشار أيضاً تغلغلها في مختلف الفئات الاجتماعية. غير أنه قد لوحظ ما يسهل عملية الانتشار هذه، ضرورة أن تكون المجتمعات الاسلامية متجانسة من حيث الظروف المحيطة بالدين في اطارها. هذا بالإضافة إلى أنه كلما كانت الصفوة العلمانية معادية للدين من حيث تو جهاتها الأساسية، فإن انتشار الاحياء الديني في مجتمعاتها يصبح أكثر فعالية وقوة، بحيث أنها قد تتحول من جديد إلى مركز ينتشر منه الإحياء الاسلامي، وذلك لظروف القهر والتوتر السائدة بسبب الصراع الصريح والكامن بين الصفوات الدينية والعلمانية(١٠، ٣٢).

ب- ويعتبر تعدد المراكز من الخواص الفريدة لحركة الاحياء الاسلامي. إذ نلاحظ أن حركة الاحياء الاسلامي قد ظهرت في أكثر من مجتمع اسلامي في وقت واحد. فقد ظهرت حركة الاحياء في ايران واليمن ، ومصر، والجزائر ، وتونس، والسودان، وتركيا، وغيرها من المجتمعات الاسلامية، وربما في فترة تاريخية وزمانية واحدة. وقد يرجع ذلك إلى عدة عوامل، من هذه العوامل توازن قوة المراكز المحتملة لقيادة حركة الاحياء الاسلامي. من الممكن أن تنطلق منها وقد انطلقت فعلاً حركات الاحياء الاسلامي(١٠، ٣٣).

ثانياً: المعطيات الاجتماعية والسياسية والثقافية لظاهرة الإحياء الحسيني

أن ظاهرة الإحياء تعتبر حلقة في سلسلة تاريخية متعاقبة بدأت بمحاولة تغريب المجتمع المسلم وانتهت بتفاعلات استهدفت احياء التراث في النطاقات التي قد تغربت. نستطيع القول بأن عملية الإحياء تظهر عادة عندما يواجه المجتمع أزمة حضارية لها جوانبها الثقافية والدينية. ومن ثم فعملية الإحياء الديني هي نوع من رد الفعل. وهي تتناسب إلى حد كبير مع الفعل، وفي هذا الإطار تعتبر حركة الإحياء الحسيني محاولة لتجاوز أوضاع راهنة للمجتمع، هي أوضاع أزمة تهدد بالانهيار.

أن تصور مجمل مراسم الإحياء الحسيني من خلال واقعة الطف فأنه يسجل من هذه الحادثة أولاً أن الأمام الحسين لم يكن بحاجة إلى هذا الإحياء، ولا يعود بالنفع الشخصي عليه ، وانما ذلك سيقود إلى انبعاث موج يعم أرجاء الدنيا. إذ لا يقتصر دور المأتم ومجمل مراسم الاحياء على مرحلة من حياة المسلمين دون أخرى، وانما تنفتح آفاقه في الحاضر والمستقبل ليواصل عطاه . فالأصل في المأتم الحسيني ومراسم الاحياء الأخرى أنه صادر عن تخطيط سياسي مستبصر بمقاصد الحياة الإسلامية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها. ولا يمكن إدراك المغزى العميق لما تمثله المراسم

الحسينية من قدرات تنظيمية هائلة في رص الصف الشيعي، وتأليفه في جماعة عضوية متطابقة، الا بمعرفة الوضع السياسي، وبشاعة الإرهاب الذي كانت تمارسه السلطة ضدهم واذا كانت التفاصيل هي أمور بعيدة عن حدود هذه الدراسة، فلا بأس بلمحات سريعة تكفي لإعطائنا مدلولات عن معاناة الشيعة السياسية والأمنية ، والإمكانات الهائلة التي وفرها يوم الأمام الحسين ومراسم احياء ذكراه في شد الصف الشيعي وإعادة بناء كتلته الاجتماعية في تنظيم عضوي محكم وعريض .

أن فلسفة المجالس الحسينية ، تكمن بالإضافة إلى ما لها من ثواب آخري. وما نبغي إبرازه من خلال التأكيد على التخطيط السياسي المصمم منذ البداية لمراسم الاحياء ، وانتهاء مشروعية هذه المراسم إلى نصوص تشريعية واضحة وثابتة، هو مواجهة بعض الاتجاهات الفكرية المستخدمة التي تعيد قراءة مراسم الاحياء الحسيني، وجوانب التحريك والتحشيد في الشعائر الإسلامية الاخرى، من خلال تحليلات جاهزة ترمي فعل المسلمين وتفسره على اساس ايديولوجي سياسي محض(٥، ٢٩-٣٠).

في بعد آخر من الأبعاد السياسية والاجتماعية لوظيفة المأتم الحسيني، نجد دوره التاريخي في تنظيم تيار المعارضة الإسلامية الأصيلة في مواجهة الحكام آنذاك، وإلى قدرته التنظيمية وبقية الشعائر التعبوي سياسياً واجتماعياً في تأليف الأقلية وتحويلها إلى كتلة عضوية ملتحمة وفعالة، وكانت يومئذ جماعة قليلة جداً بالنسبة إلى القدرات الكبرى. ولكي تنظم هذه الأقلية نشاطاتها السياسية ، فقد أوجدت لها الوسيلة المناسبة لذلك، وهذه الوسيلة هي تنظيم بحد ذاته، وكان الهدف الذي ربما لم يدركه الكثيرون منهم يومذاك هو تنظيم هذه الأقلية إزاء الأكثرية.

أما على صعيد تعميق الهوية، فيمكن أن ننظر إلى المسألة من زاوية نفسية اجتماعية تجعلنا نقيم على صورة أفضل الدور التاريخي الذي مارسته احياء الشعائر الحسينية في ترسيخ هوية الشيعة وتعميق انتمائهم وولائهم لأهل البيت (عليه السلام) والزاوية التي نعنيها هي نزوع الإنسان إلى الانتماء الاجتماعي بالشكل الذي يكون الأخير حاجة نفسية غريزية وعليه مثلت احياء الشعائر الحسينية والعلائق التي تبثها بين المجتمعين إطاراً ممتازاً للانتماء الاجتماعي في إطار تنظيم كتلة واحدة ، بحيث يعود هذا الانتماء بعوائد ثمينة على مستوى الفرد الشيعي الذي أخذ يشعر بهويته الاجتماعية على نحو أفضل. ويحتاج النسيج الاجتماعي الموحد لأية فئة أو مجموعة إلى هوية تشكل مضمونه ، والى إطار تشده ويبقي عليه متماسكاً إزاء التحديات وعوامل التحلل. ربما لم يشعر المسلمون عامة بقيمة العزاء الحسيني في الحفاظ على هويتهم ووحدة انتمائهم والدفاع عنها مقابل التحديات، وربما كان مرد بعض ذلك إلى تركز المسؤولية في جانب الاحياء والاستمرار بخط الامام الحسين، على فئة منهم هم الشيعة الذين عاشوا قضية الحسين بحماس أعلى، ووعوا دور المأتم والشعائر بمسؤولية أكبر،

فقطفوا ثمار ذلك وضوحاً في هويتهم، وتماسكاً في نسيج انتمائهم الاجتماعي ، ولكن رغم ذلك نحسب أن أجواء النهضة الإسلامية المعاصرة تسمح بفرص اكبر لاستفادة المسلمين قاطبة من عطاء الحسين سبط رسول الله(صلى الله عليه واله).

ولذا أضفنا الأوضاع السياسية السيئة والإرهاب العنيف الذي كان يمارس ضد الشيعة تاريخياً وما زال مستمراً إلى يومنا هذا، فان الحاجة إلى الانتماء وأثبات الهوية في إطار الجماعة، سيتضاعف وتزداد الحاجة اليه، في إبداء تفاعل وشد اكبر بين أفرادها. وفي إطار حالة كهذه تتحقق الكثير من الفوائد التي تنتج عن التفاعل وسهولة التأثير ، كما حصل وما زال يحصل بقوة الشعائر الحسينية.

أما الأقوال في الحريّة، فيمكن للمتأمل فيها أن يصوغ موقفه منها ، ومن الواقع الذي يعيشه؛ فينزع نحو هذه المنظومة الحياتيّة المتكاملة ، ويكون مصداقاً لقول الإمام الحسين عليه السلام : ((كونوا أحرارا في دنياكم)) . وهذه تسعة أقوال في مفهوم الحريّة وتجربتها(٢، ٦٦).

١- الوعي والحرية شيء واحد .

٢- التعليم مفتاح باب الحرية الذهبي .

٣- تكمن الحرية في تحلي المرء بالشجاعة .

٤- الحرية تعني المسؤولية ، و لهذا يخافها معظم الناس .

٥- أنا أحكي عن الحرية التي لا مقابل لها ، الحرية التي هي نفسها المقابل .

٦- لا أرى في هذا الوجود إلا الحرية ، و كل ما سواها باطل .

٧- لا يمكنك فصل السلام عن الحرية ، لأنّه لا يمكن لأحد أن يكون مسالماً ما لم يكن حراً.

٨- زنة الإنسان ثلاثة الحلم ، والمحبة ، والحرية .

٩- الموت لا يخيف الحر أكثر مما تخيفه المذمة .

ثالثاً: مستويات التعاطي مع نهضة الحسين عليه السلام

على الرغم من تباين المواقف من نهضة الحسين عليه السلام ومشروعه الإصلاحي، وما قام به من فعل، يظلّ من الواضح أنّ للتعاطي مع هذه النهضة الكبرى، ومشروعِ الحسينِ عليه السلام في الإصلاح والتنمية تعدُّدا وتنوعا في المستوياتِ والمراتب، وهي كلُّها مهمة في أبوابها، وتمثّل فهما معيَّنا، وسلوكا ما، ولكن علينا في هذا السياق أن نلحظ أنّ " التعاطي الفكري " الذي يعنى بمضامين هذه النهضة ودروسها الفكريّة والتربويّة والأخلاقيّة والتنظيميّة والعقائديّة يكاد أن يكون منحسرا أمام " التعاطي العاطفي ". ولعلّ هذا مرتبط بطبيعة المجتمع وطرائق التفكير وأدواته. ولمّا كان " التعاطي العاطفي " هو الأكثر عرضة للنظر و" النقد " ننظر في تجلياته ومحاوره. وفيما يتّصل بموضوع " التعاطي الشعبي ". علينا أن نفصل بين مجموعة مستويات أو ممارسات. وفي تحليل المعطيات التي تتوفر عليها الجماعة التي تمارس الشعائر الحسينية، سواء في طبيعة علاقاتها فيما بينها وما يترتب عليها من آثار، ومن مستويات

البحث الاجتماعي، المقارنة بين الجمهور الحسيني (الحسينيين) او الجماعة التي تمارس الشعائر الحسينية ، وبين الفرضيات التي يقوم التحليل الغربي لظواهر الجمهور، الجماعة ، السلوك الجمعي وغير ذلك ، في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي وحينئذ سنلمس فوارق كبيرة جدا ، تكشف لنا خطا بعض الباحثين وهم يصممون بحوثهم للمجتمع الإسلامي وممارساته الشعائرية على أساس فرضيات العلم الغربي ، ويستلهمون معاييره ويطلقون نتائجه دون نقد وتمحيص،على أوضاعنا الاجتماعية وممارساتنا الشعائرية والدينية عموما. وبعض هذه الممارسات ما يلي:

أ- منها ما يمثّل طقساً من طقوس الحزن واظهاره . و هو انفعال إنساني يحدث تحت تأثير حادثة ما . و هذا يصدق على (البكاء و الندب) . أمّا (الضرب بالزنجيل) ، و (التطبير) فهما مما يرتبط بالمبالغة في إظهار الحزن و التأوُّه . و هذان المظهران فيهما نظر ، و للعلماء الفقهاء فيهما آراء .

ب- منها ما يمثّل ظاهرة مجتمعيَّة قيميَّة تتماشى مع الخلال والسجايا المحمودة ، و لا سيما الكرم و المروءة . و هذا يصدق على (بذل الطعام و الشراب و توفير المأوى) . وهذا يمكن أن يقال فيه إنَّ النهضة الحسينيَّة قد كرَّست هذه القيم النبيلة و نشرتها . فضلاً عن أنَّ هذا البذل يستطيع صاحبه أن يضعه في محكّه من الأعمال التي تكون ابتغاء وجه الله تعالى و مرضاته ، و يترفع بها عن مهاوي الرياء و المباهاة .

ت- و منها ما هو عمل إبداعي ، و فن قولي . يتمثّل في (الإنشاد و الردّات)، ويمكن أن يقال عنها إنَّها تدخل ضمن ما أحدثته هذه النهضة الكبرى من أثر في تفجير طاقات المبدعين على المستوى الشعري والأدائي . وهذا ما كان موازيا لهذه النهضة ومواكبا لمضامينها وأحداثها، وكاشفا عن كثير من صورها الإنسانية، أو العقائديَّة . بمعنى أنَّ هذه النهضة قد أنتجت " أدبا شعبيًّا " أقل ما يقال عنه إنَّه هائل وبليغ ومؤثر . بعيدا عن بعض ما لا يرقى لهذا الوصف منه طبعا. ولا يخفى أنَّ هذا "الأدب الشعبي" يجايل أدبا فصيحا أنتجته هذه النهضة على المستوى التراثي والمستوى الحداثي .

ث- وتأتي (المحاضرات والمجالس) لتمثّل صورة فكريَّة ثانية (بعد الإنشاد والردّات) داخل الأوساط الشعبيَّة ؛ ذلك بأنَّها أخذت تسعى و تتبنَّى الأجواء الفكريَّة والوعظيَّة التي ترتبط بآفاق هذه النهضة . إذ صار الخطباء حريصين على إثراء الجانب الفكري والتأريخي والاجتماعي والسياسي، المتماهي مع المضامين والأهداف الخالدة لهذه النهضة الكبرى .

ح- أمّا (الزيارة مشيا) فهي ممارسة تنم عن إرادة شعبيَّة عارمة، تتلخَّص في أنَّ الجماهير تعي عظيم ما قدَّم الحسين عليه السلام من تضحيات ومواقف، فأرادت أن تظهر ما للحسين الشهيد من خصوصيَّة شعائريَّة ذات تجليات فكريَّة أيضا . ومن الجدير بالملاحظة أنَّ (الزيارة مشيا) لها آفاقها وآثارها المتنوعة ، ومن ذلك أنَّها تزرع حالة من التلاحم

المجتمعي، و لنا أن نتأمل – ولو على نحو نسبي – أنّها تطبع الزائر بحالة من الرقة والشعور بالخشوع، وتبعث على التأمّل والتفكر، وحالات من حوار الذات.

أخيراً: الاستنتاجات والتوصيات

وفيما يلي بعض الاستخلاصات العامة بشأن واقع عملية الإحياء الحسيني ومستقبلها:

١- حينما أنتقل المجلس الحسيني من دور التعبئة والتحريض والتثوير ، إلى دور الحماية لكيان الدولة الجديدة ، ضد ما داهمها من أخطار داخلية وخارجية ، حيث كان عزاء الأمام الحسين ومجمل الشعائر ومراسم الإحياء الحسيني ، من أبرز وسائل الشعب العراقي المسلم لتوحيد صفوفه وتعبئة طاقاته في مواجهة أي عدوان والأشكال العدائية الأخرى.

٢- أن مجتمعاتنا الإسلامية لم تعط بعد مجالس العزاء الحسيني وأشكال الاحياء الأخرى قيمتها الحقيقية ، وهي من ثم مازالت محرومة من عطاياها الاجتماعية وثمارها السياسية. وبعض أسباب ذلك تعود الى غفلة المجتمعات الإسلامية عن المعطيات السياسية والاجتماعية لهذه الشعائر.

٣- لا يمكن إدراك المغزى العميق لما تمثله المراسم الحسينية من قدرات تنظيمية هائلة في رص الصف الشيعي، وتأليفه في جماعة عضوية متطابقة، الا بمعرفة الوضع السياسي، وبشاعة الإرهاب الذي كانت تمارسه السلطة ضدهم، وهذا يعطي عن معاناة الشيعة السياسية والأمنية ، والإمكانات الهائلة التي وفرها يوم الأمام الحسين ومراسم احياء ذكراه في شد الصف الشيعي واعادة بناء كتلته الاجتماعية في تنظيم عضوي محكم وعريض .

٤- لا يقتصر دور المأتم ومجمل مراسم الاحياء على مرحلة من حياة المسلمين دون اخرى ، وانما تنفتح آفاقه في الحاضر والمستقبل ليواصل عطاه . فالأصل في المأتم الحسيني ومراسم الاحياء الأخرى أنه صادر عن تخطيط سياسي مستبصر بمقاصد الحياة الإسلامية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

٥- أن حركات الإحياء في المجتمعات الشيعية، عنها في المجتمعات ذات المذهب السني، نجدها أكثر رشداً، وعادة ما تكون أكثر قوة وانتشاراً. وذلك يرجع إلى الخبرات الشيعية التاريخية المؤلمة، والتي باستطاعتها أن تقدم طاقة عاطفية قوية ودافعة لعمليات الإحياء الديني في هذه المجتمعات.

٦- نجد أنه من المصادفات المجتمعية أن نجد أن المجتمعات الشيعية هي أكثر المجتمعات التي تعرض فيها الإنسان المسلم لصنوف القهر، وهو القهر الذي يذكره دائماً بمأساة كربلاء التاريخية، التي تلعب دورها في فهم البناء النفسي للشخصية الشيعية.

خاتمة: مستقبل الاحياء الاسلامي... بعض الافتراضات

ادراكا منا أن المستقبل ليس الا امتدادا بأصوله المتجذرة في الماضي، فأنا من الممكن أن نطرح مجموعة من التوقعات البديلة التي من المكن أن تلعب دورها في استكشاف مستقبل ظاهرة الاحياء الاسلامي. بيد أنه إذا كان الحاضر يتكون من مجموعة من المتغيرات التي يؤدي تفاعلها إلى صياغة بناء هذا الحاضر، فإن تحديدنا لطبيعة المتغيرات التي سوف تصنع التفاعل في المستقبل سوف يعيننا كثيرا في تحديد شكل بنائه المتوقع ومتغيرات المستقبل ليست سوى متغيرات الحاضر ممتدة إلى الامام في الزمان ومنها المتغير العالمي ونعني به موقف القوى العالمية من المجتمعات الاسلامية، ويتجلى هذا الموقف من جانبين. الاول، مدى ضغط القوى العالمية على المجتمعات الاسلامية. ويتجلى هذا الضغط من خلال ثلاثة ابعاد، الاول ترسيخها للتبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية لهذه المجتمعات دونما المساعدة على حل مشكلاتها سواء المتعلقة بالبناء التحتي للمجتمع، والتي قد تعوق التنمية الاقتصادية الاجتماعية، أو المتعلقة بمتطلبات التنمية الاجتماعية الاقتصادية ذاتها. مما يجعل المجتمعات الاسلامية تحت وطأة المشكلات التي تسهم في اشاعة التوتر في ابنيتها، ويتمثل البعد الثاني في ضغط وتأثير القوى العالمية من اجل التغلغل داخل المجتمعات الاسلامية بصورة سافرة، خاصة التغلغل الثقافي من خلال نشر مجموعة من التوجهات والقيم إلى حالات الانحراف والتبذل والفساد والاباحية، في هذه الحالة سوف تتخذ الرموز الاسلامية رد فعل واستجابة نحو العمل على تعميق المبادئ والقيم الاسلامية. أما البعد الثالث فيتمثل في محاولة القوى العالمية محاصرة المد الاسلامي اينما كان وقطع الطريق عليه. أما المتغير الثاني فتعتبر الصفوة الحاكمة والانظمة السياسية في مجتمعات العالم الاسلامي هي المتغير الثاني في بناء تصورنا للمستقبل. وتتحدد فاعلية هذه النظم السياسية بالنظر إلى عدة خيارات.

المراجع العربية

١- ابراهيم الحيدري.(٢٠٠٢). تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، لندن: دار الساقي.

٢- أحمد خليل.(٢٠٠٥). سوسيولوجيا الجمهور السياسي الديني في الشرق الأوسط المعاصر.. فكر – دراسات، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٣- الامام السيد محمد الحسيني الشيرازي.(٢٠٠٤). رؤى عن نهضة الامام الحسين، ط٩، العراق- كربلاء: دار صادق للطباعة والنشر.

٤- بيار بونت ، ميشال ايزار وآخرون.(٢٠٠٦). معجم الإتنلوجيا والأنتربولوجيا ترجمة : مصباح الصمد ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان .

٥- جيل كيبيل وبان ريشار. (١٩٩٤). المثقف والمناضل في الإسلام المعاصر . لندن: دار السامي.

٦- حسين أحمد رشوان.(٢٠٠٤). دراسة في اجتماع الدين ، مصر: مركز الإسكندرية للكتاب.

٧- حمادي محمد.(٢٠٠٩). السماع الصوفي العيساوي بين الدنيوي والمقدس، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد السادس، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر.

٨- رضي منصور العسيف.(٢٠٠٣). سفر النجاة دار المحجة البيضاء- بيروت.

٩- زكي الميلاد.(٢٠٠٥). المسألة الثقافية، من أجل بناء نظرية في الثقافة، المغرب، الدار البيضاء: المركز الثقافي الغربي.
١٠- زينب رضوان.(١٩٨٢). النظرية الاجتماعية في الفكر الاسلامي، أصولها وبناؤها من القرآن والسنة، القاهرة: دار المعارف.
١١- عاطف غيث محمد.(١٩٩٩). علم الإجتماع الديني ، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
١٢- عبد الرضا الزبيدي.(٢٠٠٥). في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي (ع) مكتبة فدك- قم .مؤسسة البلاغ.(٢٠٠٤). الامام الحسين(ع) ويوم عاشوراء، ط٦، ايران- طهران.
١٣ - عبد الحليم محمود.(١٩٩٣). الصلاة أسرار وأحكام ، دار المعارف ، القاهرة.
١٤- عبد الغني عماد.(٢٠٠٦). سوسيولوجيا الثقافة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت.
١٥- علي ليله.(١٩٨٥). العالم الثالث قضايا ومشكلات، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
١٦- قاسم عباس خضير.(٢٠٠٤). الإمام علي (ع) رائد العدالة الاجتماعية والسياسية دار الأضواء- بيروت.
١٧- محمد عباس إبراهيم .(٢٠٠١). الثقافات الفرعية دراسة أنتربولوجية للجماعات النوبية بمدينة لإسكندرية، الإسكندري:ة دار المعرفة الجامعية.
١٨- محمد أحمد بيرمي.(٢٠٠٦). القيم وموجهات السلوك الاجتماعي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
١٩- مرسيا إلياد.(١٩٨٧). تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، الجزء الأول- الثالث، ترجمة: عبد الهادي عباس، دمشق: دار دمشق.
٢٠- نبيل السمالوطي. (٢٠٠٧). بناء المجتمع الاسلامي ونظمه دراسة في علم الاجتماع الاسلامي. ط٥، القاهرة: المركز العلمي للطباعة والنشر .